نحو تصنيف اسلامى للقيم

د . عبد الرحيم الرفاعى بكرة
مدرس أصول التربية
كلية التربية - جامعة الزقازيق

مقـــدمة :

لقد تعالت أصـوات المفكرين والمصـلحين فى الآونة الأخيرة ، منادين بضرورة اصلاح التعليم وتطويره ، وتعديل مساره ، بغيـــة تحقيق الهدف الأساسى منه وهو اعداد الانسان اعدادا كاملا متكاملا ، وتنمية جميع قدارته واستعداداته ، تنمية يتحقق من خلالها التوازن والتناسق بينها جميعا .

كما يتحقق من خلال هذا الاعداد الشامل تعميق الشـعور لدى كل فرد بالانتماء الى المجتمع واهدافه وقيمه ، على أمل أن يشـكل هذا الانتماء - فى نهاية الأمر - نسيجا قوميا قويا يدفع العمـــل فى المجتمع ويحركه الى تحقيق الأهداف المرجوة .

وأصبح من نافلة القول ، أن التربية تشتق أهدافها وفلســـفتها وتوجهاتها من فلسفة المجتمع الذى توجد فيه ، ومن أهدافه العامة .

واذا أصبح من مسلمات الأدب التربوى أن لكـل مجتمع ثقافته الخاصة التى تكونت عبر مسيرته التاريخية الطويلة ، حتى أصـبحت تعكس أســـلوبه وطرائق حيـــاته ، بمـا فيها من قيم واتجـــاهات وسلوكيات ، ومعايير ، واعتقادات ، وأنظمة اجتماعية واقتصـــادية وسياسية وتعليمية مختلفة .

فان هذه الثقافة الخاصة بالمجتمع ، ينبغى أن تـكون مصـــدر اشتقاق الأهداف التربوية ومحور ارتكازها ، وهذا ما يفسر لنا وجود أنظمة تربوية وتعليمية متباينة فى دول العالم المختلفة شرقية وغربية على حد سواء .

وتتبلور ثقافة المجتمع فى نسق قيمى يشـــكل الاطار المرجعى لسلوكيات الأفراد فى هذا المجتمع ، ويعبر بجلاء عن أسلوب حياتهم ، وأنماط سلوكهم ، وتوجهات تفكيرهم ، ومكـانتهم الحضـــارية بين الأمم .

من هنا كانت القيم بعامة ، والقيم الأخلاقية بخاصة أحد المحاور الرئيسية للعملية التعليمية كما أنها أحد الأهداف التربوية الهامة .

ونظرا لهذه الأهمية ، بدأ المفكرون فى شـــتى فروع المعرفة ، يهتمون فى الســـنوات الأخيرة بدراســة القيم ، وتحديد مفهومها ، وبيان أهميتها ، ونظر كل فريق منهم اليها نظرة خاصـــة تتفق مع مذهبه ، وتميل مع اتجاهه ونزعته العلمية .

وكان طبيعيا أن تختلف وجهات النظر حول هذا الأمـر ، وأن تتباين الآراء والأفكار تبعا لتباين المنطلقات الفكرية لكـــل فـريق ، وتنوع المدارس والمشارب والميول .

وتأسيسا على ذلك ، فسوف تحاول الدراســـة الحالية ، تقديم اجتهاداتها حول هذا الأمر من خلال رؤية فكرية ، ومنهج أيديولوجى يشكلان لدى الباحث قناعة تامة بمصداقيتهما .

وعندما فكر الباحث فى تقديم هذه الدراسة الى المهتمين بالفكر التربوى فى عالمنا الاســـلامى بعامة ، ومجتمعنا المصرى بخاصة ، فانما يقدمها على أنها رؤية اسلامية لقضية من أهم القضـايا التربوية المطروحـــة على الصعيد التربوى كله ، وهى فى مجملهـا ـ كما سبق القول ـ « محاولة اجتهادية » لا يزعم الباحث أنها القول الفصـــل الذى لا يحتمل الخطأ ، بل هى فى جوهـــرها لا تعـــدو مجرد رؤية شخصية قابلة للمناقشة والحوار فى بعضها حتى درجة النقد والرفض لها ، كما أنها قابلة للتثبيت والانتشار والتأييد فى بعضها الآخر .

خلاصـــة الأمر ، أنها محاولة متواضـــعة ، فى حدود قدرات الباحث واستعداداته البشرية ، تصـــور أن من واجبه أن يقوم بها ، برجاء أن يتحقق من خلالها ما قصده وما يأمله لها .

مشكلة البحث وأهميته :

من الملاحظ - فى هذه الأيام - أن النسق القيمى لدينا قد أصابه شىء من الخلل ، كما يلاحظ - أيضا - أن بعض القيم الحاكمة فى هذا النسق قد أصابها بعض الاهتزاز والاضطراب ، فاختفت أو توارت لتفسح المجال لقيم أخرى دخيلة وغريبة ، تسللت الينا على حين غفلة منا ، متوشية بثوب العلم والعقلانية تارة ، ومرتدية لباس العصرية والتقدمية تارة أخرى ، مما دفع بالكثيرين منا الى الانخداع بمظهرها البراق فاعتنقها البعض ، بل لقد وصل بنا الأمر أن فريقا من العلماء والمفكرين - من بيننا - قد انبرى للدفاع عنها والدعوة اليها بحماس شديد قد لا يوجد مثله لدى المنظرين الأصليين لها ، ووسط هذا الضجيج والصخب ، وما صحبه من تزييف للوعى لدينا ، انصرف الكثيرون منا عن البحث والتفكير فيما تخفيه هذه الأنساق القيمية المستوردة من أيديولوجيات مختلفة ومذاهب متباينة ، نبتت فى أرض غير الأرض ، وفى بيئات قد تختلف فى كثير أو قليل عن بيئتنا ، كما أنه قد غاب عنا المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية التى أفرزتها ، والتى قد لا يكون لها أى وجود بيننا ، كما أنها نشأت لتحقق أهدافا وطموحات ، قد لا تكون - بالضرورة - متوائمة مع أهدافنا وطموحاتنا ، فضلا على كونها قد تكون متناقضة مع عقيدتنا وثقافتنا ، وجذورنا التاريخية ، وتطلعاتنا الحضارية .

وانطلاقا من قناعة الباحث ، بأن سبب هذا الخلط وذاك الخلل انما مرجعه الى غياب التصور الاسلامى الواعى المتضمن لنسق قيمى متكامل يلبى نداء الفطرة ويرتكز على العقيدة السليمة ، ويحتكم الى الطبيعة الانسانية ، ويحقق للانسان آماله وتطلعاته ، ويجسد أمامه المثل والقدوة ، حية متحركة فى أرض الواقع الذى يعايشه .

أقول : انطلاقا من هذه القناعة ، فسوف يحاول الباحث من خلال الدراسة الحالية وضع تصور لهذا النسق القيمى فى اطاره الاسلامى أملا فى أن يتحول هذا النسق ليكون محور العملية التربوية كلها فى البلاد الاسلامية ، وذلك بأن يتبناه الجميع عن اقتناع

وايمان ، وقد يختلفون فى أساليب تحقيقه ، ولكن قد لا يمتد الخلاف بينهم حول القواعد الحاكمة ، والمنطلقات القوية فى العمل من أجل تسـييده .

وبطبيعة الحـال ، فليس هذا النسـق القيمى المستـهدف « نموذجا » معلبا قابلا للاستعارة من الخارج ، بقدر ما هو كا من - بشكل ما - داخل الميراث الثقافى لدينـا - « القرآن الكريم والسـنة النبوية المطهـرة » - ينظر الجهـد العلمى ، والوعى الفكرى الذى يتفاعل معه ، كى يسـتخرجه ويظهره ، ثم يحاول أن يستزرعه فى بؤرة الوعى الاجتماعى والسياسى والتربوى للمجتمع ، بمؤسساته المختلفة ، بقصد اعادة صياغة المجتمع الاسلامى ، المتمثلة فى اعادة بناء الانسان المسلم .

وحتى يتحقق لهذا النسق القيمى ما يرجى له من قوة الاقنـاع والاقتنـاع به ، ومن ثم العمـل على ابرازه وتسـييده ، ينبغى أن تتعرض الدراسة أولا ، لأهم الاتجاهات الفكرية والفلسفية المعـاصرة فى محـاولة منها للتعرف على التوجهـات الأيديولوجية والاجتماعية التى ترتكز عليهـا ، ومن ثم طبيعـة القيم التى تدعو اليها وتنبثق منها ، ثم تنطلق الدراسة بعد ذلك الى ابراز النسق القيمى فى اطاره الاسلامى ، كما تظهره آيات الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة .

وينبغى التنوية - بداءة - على أمرين أساسيين :

الأول منهما : بأن ما يقصده الباحث بالرؤية الاسـلامية ، أى التصـور الاسـلامى للنسق القيمى المستنبط من مصادره ومنـابعه الأصلية ، كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا القصد مرجعه الى :

(أ) أنهما المصدران الأساسيان اللذان يحتويان الأسس العامة ، والمبادىء الكلية لرسم الاطار الشـامل للحيـاة لانسانية ، فى كل تفاعلاتها وعلاقاتها ، وفق لمنهج الربانى خالق الانسان ، ومن ثم ، فله وحده - سبحانه - حق وضع المنهج الملائم لتربية ما خلق .

يقول سعيد اسماعيل على : « ان الذى أنشأ شيئا هو الأعلم بما يصح وما لا يصح له ، أليس هذا منطقا علميا ؟ فاذا كنا نؤمن بأن الله هو الخالق الأحد ، يكون هو الأعلم بما يصلح لتنشئة هذا الانسان المخلوق ، على هذا النحو أو ذاك ، ويكون كتابه (القرآن الكريم) بالتالى ، هو الذى يشكل (النموذج) الذى لابد من محاولة ترجمته واقعا فى سلوك الانسان » (١٤ : ١٥) .

(ب) للتفرقة بين ما يسمى « بالثوابت » و « المتغيرات » (١٥ : ١٥) فى التراث الاسلامى ، فالمتغيرات التى هى من نتاج الجهود الكبيرة للمفكرين المسلمين - رغم التقدير العميق لها وللجهد الذى بذل فيها - الا أنها أولا وأخيرا فكر بشرى ، محكوم بالمحددات البشرية التى أفرزتها ، وينبغى - من الانصاف لها - ألا تفهم الا فى اطار هذه المحددات وفى اطار السياقات الاجتماعية والفكرية التى نبتت فيها ، وألا تخلع عليها صفة الثوابت بأى حال ، كما ينبغى سحب هذا الحكم على أى فكر بشرى « وضعى » - حديث أو معاصر - مهما كانت منزلة صاحبه ، وشهرته ، وصيته ، عملا بالقاعدة الأساسية التى حددناها .

ثانى الأمرين : أن استعراض الدراسة للاتجاهات الفلسفية المختلفة ، ومنظورها للقيم الأخلاقية ، ثم اتباعها بالتصور الاسلامى، لا يعنى به الباحث المقارنة بين منهجين متباينين للتربية ، أو عدة مناهج وتصورات متفاضلة ، بل الحقيقة التى ينبغى أن نؤكد عليها ، أنه لا وجه للمقارنة البتة بين تصورات بشرية - مهما اكتسبت من الاحترام والمصداقية فى بعض جزئياتها - وبين منهج الهى ربانى شامل متكامل متوازن ، صادر عن علم كامل واحاطة شاملة ، وحكمة بالغة « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (سورة الملك آية ١٤) .

فروض البحث :

وتحقيقا لهذه الأهداف ، سوف تحاول الدراسة الاجابة على الفرضين التاليين :

---

* الرقم الأول يرمز لرقم المرجع ، والرقم الثانى يرمز لرقم الصفحة .

الفرض الأول :

الأنساق القيمية المنبثقة من الفلسفات والمذاهب المعاصرة لا تصلح لأن تشكل الاطار القيمى للعملية التربوية فى مجتمعاتنا العربية وأمتنا الاســـلامية ٠

الفرض الثانى :

النسق القيمى المنبثق من التصور الاسلامى هو النســـق الملائم الذى ينبغى للتربيـــة أن تجعله محورا لها لكى تضـــمن من خـلاله التجانس والفاعلية فى نسيج المجتمع الاسلامى ٠

منهج البحث :

يمكن أن نفسر البحث التربوى على أنه نشـــاط هـــادف ، يستخدم الطرق العلمية فى بحث الأمور والمشكلات التربوية ، بقصد رفع كفاية العملية التعليمية ، وتطويرها فى أبعادها المختلفة ، ومن الواضح أن البحث فى مثل هذه الأبعاد يمكن أن يشتمل على أنواع من مناهج البحث الوصفية والتجريبية ، كما أن للمناهج التاريخية مكانا فى هذا المجال ٠٠ وبمعنى آخر فان المجـال التربوى والبحث فيـه يمكن أن تستخدم فيه كل هذه المناهج البحثية مجتمعة ، أو بعضها ، حسب مقتضيات المشكلة ـ موضع الدراسة ٠٠ وأنسب منـاهج البحث الملائمة لموضوع الدراسة الحالية هو المنهج الوصفى ٠

فالمنهج الوصفى يتناول عادة ، وصف ظواهر أو أحداث معينة، أو أشياء معينة ، وتقرير الحقائق أو الوقائع ، والظروف الخاصـــة بهذه الظواهر كما هى عليه وقت الوصف ، ليس هذا فقط ، بل انـــه يهتم أيضا بتقرير ما ينبغى أن تكون عليه فى ضـــوء معـايير أو قيم معيارية يحددها البـــاحث فى بحثه ، ويقترح لهـــا من الخطوات والأساليب التكميلية ، ما يمكن أن تستخدم للوصول بالشىء أو الحالة موضع الدراسة الى ما ينبغى أن تكون عليها فى ضوء هذه المعـــايير التى حددها فى بحثه ٠٠ وعادة ما يطلق على المنهج فى هذه الحالة المنهج الوصفى التقويمى أو المعيارى ٠

كما أن الباحث سوف يستعين بالمنهج التحليلى الفلسفى ٠

اجراءات البحث :

وتحقيقا لأهداف البحث ، واستيفاء لكل أبعاده ، فسوف تسير الدراسة فى معالجتها لقضاياها وفق تصـــورها الذى حددته بداءة ، وعليه ، فستكون المعالجة ذات بعدين أساسيين أو مبحثين رئيســيين همـــا :

المبحث الأول :

سوف يعالج التصورات والاتجاهات الفلسفية المختلفة من حيث مفهومها للقيم بعامة ، والقيم الأخلاقية بخاصة ومدى امكانية اشتقاق نســـق قيمى من هذه الاتجاهات يمكن أن تعتمد عليه التربيـــة فى مجتمعاتنا .

أما المبحث الثانى :

فسوف يتناول فيه الباحث التصور الاسلامى ، ومن ثم التصنيف المقترح للقيم الأخلاقية وفق المعايير والمحددات الاسلامية من مصادرها الأصلية (كتاب الله وسنة رسوله) لتكون نســـقا قيميا تهدف اليـــه التربية وتعمل على تسييده وتشربه .

وفيما يتعلق بالمبحث الأول ، فسوف تهتم الدراســـة بتنـــاول الأسس الفلسفية للقيم الأخلاقية من وجهة نظر الاتجاهات الفلســـفية المعاصرة ، والتى أولت القيم شيئا من الدراسة والاهتمام ، انطلاقا من منظور الاتجاه النقدى فى علم اجتماع المعرفة الذى يقرر بأن « القيم أحد الأبعـاد الرئيســـية الثلاثة للبنية المعيارية لأية نظرية ، والتى تنحصر فى : المفاهيم ، والقيم ، والتعميمات الامبريقية (٣٤ : ٢٧).

وسوف تقتصر المعالجة من المنظور الفلســـفى على اتجـــاهين عامين ، يندرج تحت كل منهما عدة مذاهب فلسفية أخرى ، وهما :

١ - الاتجاه الواقعى فى الفلسفة .

٢ - الاتجاه المثالى .

وغرض الباحث من هـــذا التصـــنيف والتقسيم ، لا يعدو كونه

تيسيرا للبحث والدراسة ، وابراز اكثر مواقف القيمة اهمية لدى الفلاسفة ، وليس هذا - بطبيعة الحال - تعبيرا عن واقع الفكر الانسانى ، الذى يند بطبعه عن التصنيف الجامد ، فيتمرد على الحدود التى تغلق دونه ، ويخصب باللقاء والمزاوجة بين أضداده .

أولا - الاتجاهات الواقعية فى الفلسفة :

أصحاب هذه الاتجاهات متفقون فيما بينهم على أن **هناك طبيعة واحدة كبرى ، وأن الانسان ، والأرض ، والكون جميعا** ، أجزاء من هذه الطبيعة التى تسرى عليها قوانين واحدة ، وتدرس بطريقة واحدة ، ولابد لكل تفسير لأية ظاهرة أن يقع فى نطاق ما هو طبيعى ، فليس وراء الطبيعة شىء ، وليس غير الخبرة الحسية (Experience) مصدرا للمعرفة أو القيمة .

« فالخبرة هى مصدر الأحكام العلمية ، مثلما هى منشأ أحكام القيمة ، وترد بذلك القيمة الى **الذات** أو **الفاعل** ، بما له من خصائص معينة » (١٩ : ٦٤) .

ويقولون أيضا : ان القيمة تتصل بأفعالنا اليومية من وجهة طابعها الذى يجعل منها عادلة أو جائرة ، صائبة أو مخطئة ، فهذه الأحكام التى نصدرها على أفعالنا لها تأثيرها الحاسم فى تكوينها ، ويختلف الأفراد فيما بينهم فى هذه الأحكام ، وأمور أخرى ينبغى ألا تفعل ، « وهذا من شأنه أن يضفى صبغة خاصة ، ودلالة معينة ، على أفعالنا وخبراتنا ، هى « الينبغية » محور القيمة ، وقلبها الذى تفسر لديهم على انها عملية تمثيل داخلى للكف (Internalized Inhibitory Process) تنقل بمقتضاها تعاليم التحريم ، والسلطات الخارجية الى الذات ، بحيث تندمج فيها ، وتتوحد معها فتسلك وفقا لما تمليه هذه السلطات ، وكأنه صادر منها على نحو فردى ، وبقرار شخصى » .

وأصحاب هذه المواقف جميعا - على اختلاف نظرياتهم ومناهجهم يردون القيمة ويختزلونها الى نشاط طبيعى يخضع لحتمية صارمة ، ومن ثم يسهل قياسها ، واخضاعها للتجربة ، وبذلك تتحول القيمة الى

مجرد واقعة علمية ، من بين وقائع أخرى تعنيها الحتمية التى تشمل بنفوذها ، كل موضوعات العالم ، وتختلف هذه الحتميـــة ، باختلاف المواقف ، البيولوجية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية .

(أ) فأصحاب النزعة البيولوجية :

يردون القيم الى القـــوانين التى تحكـــم الكيـــان العضـــوى (Organism) وأهمها قانون التطور - ان صح أن يكون قانونا - وما يلزم عنه القول بالانتخاب الطبيعى ، والبقاء للأصلح .

وهذه القوانين لا تفرق بين الانسان وغيره من الكائنات الحية ، وبالتالى تغفل دوره فى تغيير وجه العالم، و فقا لقيم يعتمد جوهرها فيما ينبغى أن يكون ، ويتجاوز ما هو كائن ، ومن ثم يخضع لحتميـــة تجعل من نشاطه عملية تلقائية ، لاينفذ اليها تصـــور لغاية أو مثـــل أعلى . ولا يسمح ذلك النشاط التلقـــائى المحتوم بفاعلية قيمية ، لأنه ينزع المسئولية عن الانسان ويضع زمامه فى يد القانون الطبيعى .

كما أن افتراض البقاء للأصلح لا يزودنا بمصدر للتقويم ، لأنه هو نفسه خاضع لتقويم متصل ، فما هو أصلح ، انما يتغير معناه ، وتتبدل مقاييسه ، وفقا للقيم التى يخلعها الانسان على تصـــوره للأصـــلح . والانتخاب الطبيعى ، لا يمكن أن يكون هو ما يفرق الانســـان عن غيره من الحيوان ، بـــل هو الانتخاب اللا طبيعى - ان أبيح ذلك التعبير - لأن ما يميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية فى الحقيقة انما هو تمرده على الطبيعة ، وصراعه معها ومحاولة الظفر منها بما لا يمكن أن تقدمه له طواعيـــة .. وبمعنى آخـــر لم يستطع الانسان ان يتميز بفرديته وعضويته فى المجتمع ، ومشاركته فى العـــالم الانســـانى الا بترويضه للطبيعة واستئناسها ، ومحاولة التحكم فى قوانينها ونظمها ، وفقا للقيم والمعايير التى تحدد له ما ينبغى أن يكون .

(ب) أما أصحاب المواقف النفسية :

فانهم يردون القيم الى التكوين النفسى للفرد ، وفق ما ركب فيه

من عدد يقل أو يكثر من الغرائز والدوافع والميول ، محكومة بحتمية نفسية لا مهرب منها ٠

وعليه ، فالتقويم - فى رأيهم - عملية نفسية باطنية ، تخلع القيم على الأفعال والأشياء الخارجية بمقتضى ما ركب فى الانسان من جهاز نفسى ٠

ومعنى ذلك القول وجود حتمية سيكولوجية ، تسوق الفرد بحسب ما يضطرب به باطنه من رغبة موقوتة يندفع الى اشباعها ٠

وهكذا أصبح الانسان فى تصورهم « كائن حاسى عاطل من القوى الروحية والعقلية وأضحى هدف (القيم الأخلاقية) لديهم اشباع الأنانية وتوكيد الذات ولو جاء على حساب القيم الروحية العليا (٧ : ٤٨٥) ٠

وهذا القول ينتفى معه معنى الالزام ، حيث تخضع القيمة لحكم الرغبة ، وما يستتبعها من لذة أو ألم وهذا من شأنه أن يلقى بالقيم فريسة للتغير والنسبية ،فتفقد المسئولية معناها،ويحتجب المثل الأعلى وراء ضباب كثيف من تذبذب الرغبات والميول ٠

(جـ) وأصحاب المواقف الاجتماعية :

فالقيم الأخلاقية لديهم صادرة عن عقل جمعى ، وبهذا صار الفرد مجرد جزء من جهاز أكبر وتكوين أشمل هو المجتمع الذى يوجد خارج الأفراد ، وداخلهم ولكن على نحو مستقل فالمجتمع ليس فى رأيهم مجموع أفراد ، بل هو أشبه بمركب كيميائى ينتج من ائتلاف الأفراد فى علاقات اجتماعية مؤدية الى عقل جمعى متميز عن عقول الأفراد المكونين له ٠ (٣٣ : ٨٠ - ٨٧) ٠

وتطبيقا لهذا القول ، فان الفرد سواء اذا ما حقق قيمة أو تمرد عليها يكون ممثلا فى الحالتين لارادة العقل الجمعى ٠٠ وعليه فلا فرق بين الاذعان للمجتمع وعصيانه لأن الأمر فى الحالتين تعبير عن مطالب المجتمع ٠

وهذه « الحتمية الاجتماعية تجعل من الأفراد كائنات سلبية عاجزة أمام كائن مكتمل جاهز ، عليهم أن يصغوا الى تعاليمه مهرعين الى تنفيذها عن وعى أو لا وعى » . (١٩ : ٢٠٤ - ٢٠٦) .

ويمتد « ليفى بريل » بهذه الحتمية الاجتماعية التى تطوى معها القيم الأخلاقية ، الى نتيجتها المنطقية فينكر مشروعية بحث ما ينبغى أن يكون ، مكتفيا بما يسجله لنا العلم الوضعى للعادات والتقاليد والآداب التى يدين لها الناس بالولاء فى المكان المعين والزمان المعين . (١٩ : ٢٠٧) .

(د) أما أصحاب المواقف الاقتصادية :

فيختزلون الفاعلية الانسانية الى مجرد نشاط اقتصادى يتمثل فى انتاج المقومات المادية الضرورية لحياة البشر ، وكل شىء فى نظرهم يتحول الى سلعة تحكمها قوانين التبادل والعرض والطلب .

ويجد الانسان نفسه فى الماركسية أمام حتمية اجتماعية أضيق حدودا من حتمية العقل الجمعى أو المجتمع لأن المجتمع عندها لا تشمله وحدة ، ولا يلتئم فى تآلف ، بل هو منقسم الى معسكرين متطاحنين ، « أحدهما طبقة حاكمة مالكة لكل شىء فى المجتمع قائمة بالاستغلال فى جميع صوره ، والثانى طبقة محكومة مغلوبة على أمرها لا تملك شيئا وخاضعة لاستغلال « البروليتاريا » . (٣٧ : ٦٦٧) .

والفكر الماركسى يعتبر الوعى الطبقى (Consciousuess Class) أو ادراك مصالح الطبقة هو مصدر القيم ، ومن ثم فليس هناك قيمة مشتركة فى المجتمع الطبقى ، فلكل طبقة قيمها التى تتحد بمصالحها ، وانتصار قيم طبقة على أخرى أو اندحارها مرصود بقوانين التطور الحتمى للمجتمع . (١٩ : ٢٠٧ - ٢٠٨) .

وتطبيقا لذلك فالقيم عندهم - شأنها شأن كل مظاهر الأيديولوجية - مجرد انعكاس لأسلوب الانتاج بشعبتيه ، وبمعنى آخر

فهى تعبير لا حق للمـــادة ، ومظهر انعكاس لها ومنبثق منها . ومن ثم لا يملك الأفراد شيئا من القيم ، وكل دورهم هو التعبير عن ارادة التطور التى تتمثل فى مصالح الطبقة الصاعدة .

وهكذا أصبح الانتاج هو أعظم مقومات الحيـــاة فى المجتمعات الانسانية بل هو القيمة الأم أو القيمة الحـــاكمة ، ومنها تتفرع القيم الأخرى متناسية أن الانتاج نفسه لابد أن تسبقه صـفات فى الانســـان تجعله ممكنا ، وبمعنى آخر ، فان القيم الانسانية تسبق اختراع الأداة وليس صحيحا ـ من وجهة نظر الباحث ـ ما ذهبت اليه الماركسية من سبق المادة على القيمة . (٣٨ : ٣٦٣) .

وليس معنى ذلك انكار أثر العوامل الاقتصادية فى سلوك الأفراد وحياة الجماعة ، بل ان الباحث نفسه قد وضـــع هذا العنصر احـــد المتغيرات التى تؤثر على سلوك الأفراد وقيمهم ، ولكن الانكار مبعثـه اعتبار انه العامل الأوحد والمعيار الوحيد وما عداه فهو تابع له ومنبثق منه ، فمما لا شك فيه أن بين الفكر والمادة تفاعلا ، وتأثيرا وتأثرا ، حتى أن « نظرية ماركس نفسها نشأت عن الضيق من ســـوء النظـــام الاقتصادى فى عصره » . (٧ : ٣١٤) .

ثانيا ـ الاتجاهات المثالية فى الفلسفة :

يذهب المثاليون الى أن العقـــل أو الحدس أو الوعى هو أداة ادراك المعرفة واكتشافها ، وأنكروا على الطبيعيين قولهم بأن التجربة هى مصدرها ووسيلة ادراكها ، سواء فى ذلك معرفة الحقائق الثابتة أو القيم المطلقة .

والقيم عندهم ليست وســـيلة الى غاية تقوم خارجها ، بل هى بينة بذاتها ، لا تحتمل برهانا ولا تقبل تبريرا ، عامة وليست جزئية ، ضرورية وليست عارضة ، الى آخر الصـفات والنعوت التى وصـــفوا بها القيم .

فالقيم عند جود (Jood) أحد أعلام الفلسفة المثالية « تنتمى

الى عالم واقعى ، كما أنها غايات وأهداف ينبغى أن يسعى الانسان الى تحقيقها ... والمثل العليا (فى رأيه) تدفعنا الى الأمام ، كما ترفعنا الى أعلى ، وهى التى تهبنا القدرة على أن نعلو فوق مستوى أنفسنا الأمر الذى ما كنا نبلغه دون هذه المثل أو القيم » (٣٥ : ٢٢٣ - ٢٢٤) .

ويرى « جود » أيضا أن القيم ليست ثمرة صنع الانسان ، كما أنها ليست من نتاج العقل « فهى توجد فى الواقع غير المادى الذى يوجد فيه كياننا الروحى ، حيث هى عناصر الحياة العقلية المستقلة عن وجودنا » . (٣٥ : ٢١٤ - ٢١٥) .

والكون - فى رأيه - « وحدة وكل واحد ، وهذه الوحدة هى الله الذى يعبر عن نفسه فى مختلف القيم ، على نحو ما تعبر القيم عن نفسها فى ذلك العدد غير المحدود من الظواهر » . (٣٥ : ١٦٧) .

وعلى ذلك تتصل الأخلاق بالدين ، « لأن الاعتراف بالقيم الموضوعية والأخلاق والسعادة تتضمن وجود عقل غير العقل الانسانى ، يعرف ويتمتع بتلك القيم ، وهذا العقل لا يدرك الأخلاق فحسب بل يخلقها ، فهو الذى يصنع القانون الخلقى الذى يسود الكون ويتخلله مستقلا عن وجود الانسان ، وبذلك تتجلى طبيعة الله فى القيم الكلية كالسعادة والخير والحق والجمال » . (١٩ : ١٢٥) .

وهكذا نرى القيم فى الفكر المثالى موضوعية ومستقلة عن الانسان ، فهى معطاة له . وهى عامة وثابتة ومطلقة ولا تتباين بتباين الأفراد ، أو تتعدد بتعدد رغباتهم ومصالحهم وهذا الموقف المثالى من الفهم يغلق دون الانسان آفاقا فى قدرته أن يرتادها ، وبالتالى يقلل من شأن فاعليته فى اكتشاف القيم المناسبة فى المرحلة التى يعيشها وفق أهداف المجتمع الذى يعيش فيه ، ومن ثم تغييرها أو الاضافة اليها ، أو حتى التمرد عليها اذا لزم الأمر .

وهكذا لم تفرق المثالية بين القيم الأخلاقية من ناحية وسائر القيم

الأخرى التى يتحتم تغييرها تبعا للتغيـــر الاجتماعى الذى يمـــر به المجتمع فى فترات حياته المختلفة .

وبعد .. فقد تم - فى الصفحات السابقة - استعراض وجهـات نظر المدارس الفلسفية المختلفة من القيم ، حســب فهم الباحث لهـا وتصوره لمضمونها ...

المبحث الثانى - القيم الأخلاقية من المنظور الاسلامى :

مقـــدمة :

ترجع أهمية التصور الاسلامى للقيم الأخلاقيـــة الى قدسيـــة مصدره ومنبعه ، فهو تصور ربانى المصدر ، أى أنه منهج الاله الخالق لتربية الانسان المخلوق ، وهذا التوكيد على ربانيته هو الذى يعطيـــه قيمته الأساسية من حيث كونه مناط الثقة ، وأنه مبرأ من كل نقص أو هوى ، كما أنه التصور الموافق للفطرة البشرية ، الملبى لكل جوانبها ، المحقق لكل حاجاتها .

كما يكتســـب هذا المنهج أهميته من كونه صـادرا عن علم الاله الشامل ، واحاطته الكاملة بكل جوانب الشخصية الانســـانية وأبعادها المختلفة ، ومن ثم ما يصلح لتربيتها فى كل طور من أطوار حياتها ، عبر كل زمان وامتداد المكـــان ، لتحقيق ذاتية الفرد واشباع مقومات وجودها المادية والمعنوية على حد سواء ، ويحرص نفس الحرص على تحقيق التفاعل والانفعال بين الذات الانسانية فى تفردها ، وجميـــع عنـــاصر الوجود مادية كانت أم معنوية تحقيقا للجـــانب الاجتماعى والانسانى لها ، كل ذلك فى منظومة متناغمة لايجاد الصـــورة المثلى للحياة الانسانية على هذا الكوكب فى أرفع معانيها ، فى حدود الطاقة البشرية ، والواقع المادى للحياة فى كل بيئة يتواجد فيها الانسان .

وقد شاءت ارادة الله ض سبحانه وتعالى - أن يتم تحقيق منهجه الالهى للحياة البشرية عن طريق الجهد البشرى نفسه ، وفى حدود ما

يبذلونه من طاقة وفكر ، ورغبتهم فى التغيير والتطوير .. « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » (سورة الرعد آية ١١) .

وعندما نفكر - متأثرين بمعطيات العصر الهائلة - لحل مشكلاتنا الحياتية ، الفكرية منها والمعاشية ، « نجد الاسلام قبالتنا ، وتناسيه لا يعنى مجرد الاغتراب عن الذات ، بل الاعدام الكامل لها ، فالاسلام يتغلغل فى وجود المسلم وفى ضميره ، ويقر فى أعمق طبقة من عواطفه ، ويعيشه باللوعى واللاوعى ، وهو يمثل للثقافة العربية رؤية كلية للحياة والموت لا يمكن لرؤية أخرى أن تحل محلها » . (٢٣ : ١٣١ - ١٣٢) .

وبهذه الرؤية نرى أن « الاسلام بالنسبة للمسلم ليس مرحلة تاريخية ، تجىء ثم تنقضى ، وانما هو منهج حياة فى كليتها وشمولها ، مستمر باستمرار الزمان ، وممتد بامتداد المكان .. ليست المسألة افتعالا وتعصبا ، ولكنها قضية الايمان .. فما دام المفكر يؤمن بوجود اله خالق ، قادر مبدع ، وأنه هو الذى أرسل نبيه محمدا - ﷺ - مبشرا ونذيرا باذنه وسراجا منيرا ، فلابد من التسليم بمحتوى رسالته » (١٣ : ٤) .

وهذا المنهج الربانى - الذى هو محتوى رسالة محمد - لا نستطيع أن نفهمه ، أو أن نتعامل معه على الوجه الصحيح ، الا فى الاطار العام للتصور الاسلامى الشامل لكل من العقيدة والكون والانسان والحياة .

أولا - الاسلام ... والعقيدة :

وجه الاسلام - منذ بدء نزوله عنايته الكبرى الى أمر العقيدة ، وذلك لتحديد الصورة الصحيحة التى ينبغى أن يستقر عليها الضمير البشرى فى حقيقة الألوهية ، وعلاقتها بالخلق ، وعلاقة الخلق بها ، حتى اذا ما استقرت هذه العقيدة الصحيحة ، استقرت عليها نظم البشر وأوضاعهم وعلاقاتهم ، الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وآدابهم وأخلاقهم كذلك ..

كما عنى الاسلام ، عناية خاصة بايضـاح طبيعة الخصـائص ، والصفات الالهية المتعلقة بالخلق والارادة ، والهيمنة والتدبير .. ثم بحقيقة الصلة بين الله والانسان .. وبين الانسان وغيره من المخلوقات، جمادية وحياتية على السواء ..

قال تعالى : « **الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعـل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون • هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجـل مسمى عنده ثم أنتم تمترون • وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون** » .. الى قوله تعالى : « **قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شـهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون**» (سورة الأنعام ، الآيات ١ ـ ١٩) .

وقوله : « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبـة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين • وهو الذى يتوفاكم بالليـل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون • وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظه حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون** » • سـورة الأنعام ، الآيات ٥٩ ـ ٦١) .

والألوهية فى الاسلام ، واحدة ، لا تتعدد ، ولا تقبـل الشركة ، قال تعالى : « **لا تجعل مع الله الهـا آخر فتقعد ملوما مخذولا** » . (سورة الاسراء ، آية ٢٢) .

وقوله : « **وهو الذى فى السـماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم العليم** » . (سورة الزخرف ، آية ٨٤) .

وقد أقام ـ سبحانه وتعالى ـ الأدلة القاطعة على وجوده وقدرته، وهيمنته ، وحسن تدبيره ، وجعل الطريق الى معرفتها ، والاذعان ، لمدلولها فى تكوين الانسان نفسه ، « دائرة بين النظر العقلى ، ومـا يجد الانسان فى نفسه من الشـعور الباطن والاحسـاس الداخلى » .

(٢٩ : ٢١) .

فقد طلب الاسلام من الانسان امعان النظر ، وحسن التفكير والتدبير فى هذا الكون الفسيح ـ كتاب الله المفتوح ـ أرضه ، وسمائه ، وما أودع فيه من أسرار ، ونظام ، وأحكام ، تجعل العقل المنصف لا مفر أمامه من الاعتراف ببديع صنعه ، والوهية خالقه ، ووحدانيته ، وقدرته الباهرة ، وتمام سيطرته على كل الموجودات .. قال تعالى : **« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شىء قدير »** . (سورة العنكبوت ، آية ٢٠) .

فهذا أمر الهى للانسان بالسيطرة على العلوم الطبيعية ، علم الجيولوجيا ودراسة الحفريات وطبقات الأرض ، ثم دراسة الكائنات المختلفة ليهتدى العقل بها الى بداية الخلق ، وتطور الحياة ، ومن ثم التسليم بقدرة الله والوهيته ، وبديع صنعه .

وقال سبحانه : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء انه خبير بما تفعلون » (سورة النحل ، آية ٨٨) . **وقوله « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء »** . **الى قوله تعالى : « وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »** . (سورة البقرة ، آية ١٦٤) .

وقوله عز وجل : « وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » . (سورة الرعد ، آية ٤) .

والطبيعة الانسانية بها حاجة ذاتية الى التدين والى الاعتقاد باله ، وهذه الحاجة تتصل بأمن الانسان الداخلى ، وتوازنه النفسى ، كما تتصل بنزعته الفطرية الى الاعتقاد ، والرغبة الملحة فى معرفة غاية الوجود ، ونهاية المصير .

وهذا الشعور بالحاجة الى اله ، والتوجه اليه مركوز فى الفطرة منذ خلقها الله سبحانه ، وعندما تصح هذه الفطرة وتستقيم ، تجد

فى أعماقها اتجاها الى اله واحد ، واحساسا قويا بوجود هذا الاله الواحد .. قال تعالى : « **فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** » . (**سورة الروم ، آية ٣٠**) .

وهذا الايمان الفطرى ، مركوز بالقوة لا بالفعل ، من قبل الايجاد والخلق « **واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين** » . (**سورة الأعراف ، آية ١٧٢**) .

« والشك فى حقيقة الوجود الالهى ، أو انكاره ، هو بذاته ، دليل قاطع على اختلال بين فى الكينونة البشرية ، وعلى تعطل أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية فيها » . (١٨ : ١٩٩) .

وقد اعترف العلم المعاصر بهذه الحقيقة الفطرية للتدين ، قال أحد العلماء الأمريكيين : انتى أعتقد بوجود الله لأنه وهبنى التمييز الأخلاقى ، فالجنس البشرى لديه احساس فطرى بما هو صواب وما هو خطأ . (١٠ : ١٣٣) .

ويقول آخر : « كما أن الايمان بمعناه الواسع ، يعتبر أمرا ضروريا ، وجزءا طبيعيا بالنسبة لوجود الانسان ، فان الايمان بالله ، يعد كذلك لازما لاكتمال الانسان ، وتمام فلسفته فى الحياة » . (١٠ : ١٣٧) .

وكان لابد من استقرار هذا الأساس العقدى ـ أولا ـ حتى تستقيم الحياة الانسانية على هذا الكوكب بالكيفية التى أرادها الله ، وأن تنتظم العلاقات بين الانسان وخالقه ، وبينه وبين الكون والحياة والأحياء ، بما يتفق وطبيعته البشرية ، فالعقيدة الصحيحة « ذات أثر حاسم فى الشعور والخلق والسلوك ، فلا يمكن أن يستقيم أى منها ، وهذه العقيدة غامضة ، أو مخلخلة ، أو مفقودة فى الضمير ، كما أنها ذات أثر حاسم فى الحياة الواقعية للبشر ، بكل ما فيها من قيم ، وموازين ، ومن مبادىء وتقاليد ، ومن أنظمة وأوضاع ، ومن سياسة واجتماع واقتصاد ، ومن ثقافة وعلم وفن ، ومن نشاط منوع المظاهر والجوانب » (١٨ : ٨٢) .

والنتيجة التى يهدف اليها الاسلام من هذا الأســـاس العقدى ، تحقيق معنى العبودية الخالصة لله فى قلب الانســـان ، حتى لا يكون نشازا بين الخلق جميعا ، وحتى يكون أهلا للخلافة والتكريم ..

فالعبودية ـ كما يراها الاسلام ـ تشمل الانسان ، وغير الانسان ، كل المخلوقات ، والموجودات ، فهى تشمل كل شىء ، الكائنات الحية ، والكون المادى ، بأجرامه وظواهره ، قال تعالى : « **ثم اســـتوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيـــا طوعا أو كرها قالتا أتينـــا طائعين** » (سورة فصلت ، آية ١١) .

وقوله : « ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا » (ســـورة مريم ، آية ٩٣) ، وقوله : « ومـــا خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (سورة الذاريات ، آية ٥٦) .

وهذه العبودية الخالصة ، تستغرق كل حياة الانسان ، اعتقاده ، وقيمه ومبادئه وسلوكياته ومناشطه وجميع علاقاته : بالله ، وبالكون ، وبالأحياء جميعا ..

ثانيا ـ الاسلام .. والكون :

ان هذا الكون من بديع صنع الله عز وجل ، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق له ، بكل ما فيه من أشياء ، وظواهر ، وأحياء ، وعلاقات ، وأنه لا تخرج أية جزئية من جزئيـــات هذا الكون ، فى نشـــأتها ، أو حركتها ، أو مصيرها ، عن سلطان الله ، وهيمنته ... « **خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الانســـان من نطفة فاذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنهـــا تأكلون .. الى قوله تعالى : وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفـــا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منـــه لحمـــا طريا وتستخرجوا منه حلية تلبســـونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وســـبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخـــلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون** » (سورة النحل ، آيات ٣ ـ ١٧) .

كما أن هذا الكون مخلوق حادث ، وليس بالقديم الأزلى ، كمـــا أنه لم ينشـــأ من ذات نفسه ، وقد اعترف بذلك العلم الحديث ، فقـــد

اوضحت قوانين الديناميكا الحرارية « ان اصل الكون او اساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو اذا حدث من الأحداث ، ومعنى ذلك أنه لابد لأصل الكون من خالق ازلى ، ليس له بداية ، عليم ، محيط بكل شيء ، قوى ليس لقدرته حدود ، ولابد أن يكون هذا الكون من صنع يديه » (١٠ : ١٢) .

ان كل شيء يجرى أو يحدث فى هذا الكون ، مقدر ، مدبر ، وكل حركة فيه محسوبة بحساب دقيق ، وموزونة بميزان لا يخطىء ، وموجهة بحكمة مقصودة ، ولغاية معلومة ، وفق قوانين ، لا تخطىء ولا تتخلف ، كما أنه لم يخضع فى حركاته ، وظواهره لحتمية آلية ، أو لعشوائية ارتجالية ، ولكنه يخضع لمشيئة الله وقدره .

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » (سورة الفرقان ، آية ٢) .

« انا كل شيء خلقناه بقدر » (سورة القمر ، آية ٤٩) .

« وكل شيء عندنا بمقدار » (سورة الرعد ، آية ٨) .

« وكل شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » (سورة الحجر ، آية ٢١) . « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .. الى قوله تعالى : « وكل فى فلك يسبحون » (سورة يس آيات ٣٧ - ٤٠) .

وهذا الكون ، منحة الهية للانسان ، أعده خالقه ، لاستقبال الحياة وحضانتها ، وكفالتها ، واقامتها ، وسخره لهذا كله ، وأمره فأطاع .. **« وسخر لكم ما فى السموات والأرض جميعا منه » .** (سورة الجاثية ، آية ١٣) ، واستخلف الانسان عليه ، دون سائر خلقه ، وأمده بالأدوات والقدرات ، التى تمكنه من هذا الاستخلاف ، وتلك السيادة ، فقد حباه بالعقل ، والعلم والادراك ، وجعل الكون مهيأ لخدمته وراحته ، وتقدمه ، فهو كون صديق ومسالم للانسان ، يعطيه بسخاء طالما تعامل معه بالأسلوب العلمى الذى يناسبه ، وسعى الى فهم أسراره ومغاليقه ، والكشف عن سننه وقوانينه ..

وانعكاس هذا التصور الاسلامى للكون ، ولتلك العلاقة التى بينه

وبين الانسان ، على سلوك الانسان ، وقيمه لا تخفى ، كما أنها مهمة تربوية على درجة كبيرة من الأهمية ٠

ثالثا ـ الاسلام ٠٠٠ والانسان :

اختلف مفهوم الانسان ، والنظر الى مقوماته ، تبعا لاختلاف المنظور الذى ينظر به اليه ، واختلاف الفلسفات والمذاهب ، والاتجاهات ٠٠٠ وكل هذه المفاهيم تشترك فيما بينها ـ على اختلاف فى هذا القدر المشترك ـ فى الانتقاص من قدر الانسان ، وكرامته ، وفى اهدار خصائصه ، ومميزاته التى تميزه عن سائر الموجودات ، فى هذا الوجود ، وذلك عندما تسوى هذه الصيغ بين الانسان ـ فى انفراده واجتماعه ـ وسائر الأشياء والكائنات ٠

ان فهم الانسان على هذا النحو ـ بالاضافة الى تجريده من خصائصه العقلية والوجدانية ـ ينظر فيه الى الانسان ، معزولا عن السياقات الاجتماعية التى تظهر فيها كينونته ، ويسوى بينه وبين الأشياء والعناصر الأخرى ، التى خلقت لتكون فى خدمته ، وتيسير حياته ، ورقيه ٠

أما الانسان فى الاسلام ، فهو مخلوق عزيز مكرم ، خلقه الله خلقا مباشرا ، وجعله فى أحسن تقويم وصوره فأحسن صورته ، خلقه بيديه من طين الأرض ، ونفخ من روحه ، واسجد له ملائكته تكريما ، واشهارا لمكانته من الخلق ٠٠ « **واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ٠ فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ٠ فسجد الملائكة كلهم أجمعون** » ٠ (سورة ص ، آية ٧١ ـ ٧٣) ٠

وأقسم سبحانه بجمال هذا الخلق والتكوين ، فقال : « **والتين والزيتون وطور سينين ٠ وهذا البلد الأمين ٠ لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم** » ٠ (سورة التين ، آيات ١ ـ ٤) ٠

« انسان هذا شانه ، خليفة لله فى الأرض ، والملائكة تسجد له ، يخلقه الله سبحانه وتعالى فى أحسن تقويم ، لابد أن يكون الله قد كرمه على كثير من مخلوقاته » ٠ (٢٤ : ٣) « **ولقد كرمنا بنى آدم**

وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . (سورة الاسراء ، آية ٧٠) .

وتكريمه ، ما ثل فى كيانه المتميز عن سائر الأحيـــاء ، وفى أنه اكرم من كـــل ما خلق الله من ماديات ، لأن كـــل مادى مخلوق له ، وتميز الانســـان على سائر الأحيـــاء يتمثـــل فى قدرته على ادراك المؤثرات الكونية ، والانفعال بها ، والاستجابة لها ، بكل ما ركب فيه من حواس ، وعقـــل وطاقات مختلفة ، تجعله قادرا على التفكيـــر ، والتأمل ، والتذكر ، والتوقع ، والتخيل ، والاختيار الحر المسئول ، فى الفكر ، وفى العمل ، وفى القدرة على تجاوز محددات الســـباق الزمانى والمكانى ، وتلك هى روحه ـ نفخة من روح الله ـ التى جعلت وجوده ، أكبر من مجرد الحياة الحيوانية .

ونظرا لتميز الانســـان فى التكوين العقلى والنفسى ، جعله الله خليفته فى الأرض ، وحمله أمانه التكليف وأناط به مســـئولية تعمير الكون ، وفى الحياة **«انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا »٠ (سورة الأحزاب ، آية ٧٢) .**

وأبرز القدرات التى هيأت الانسان لمهام الاستخلاف فى الأرض ، زوده الله به من امكانات تجعله قادرا على الكشـــف عن أسرار الله فى الكون ، واختزان المعارف ، واســـتخدامها وتوليد معـــارف جديدة ومتجددة ، يوظفها فى نشاطاته ومساعيه ، التى تهدف الى تعميـــر الأرض ، واحداث التعديلات والتحليلات والمبتكرات فى مواد الكون ، وفقا لعهد الله وميثاقه ووصولا الى تنمية الحياة ، وترقيتها ، والانتفاع بثمرات كل ما فى الوجود وفق ما قرر الله .

فمنزلة الانسان فى الاســـلام ، لا تعلو عليها منزلة أخرى ، لأى مخلوق آخر ، وقيمته أعلى قيمة فى الوجود كله ، وهو مستعد ـ بحكم تكوينه الذاتى ـ للارتفاع فوق مرتبة الملائكة ، أو للانحدار الى أدنى من مرتبة الحيوان ، وعليه وحده أن يختار ، ويتحمل مسئولية الاختيار .

واعترف الاسلام بالجانب الحيوى فى الانسان ، فهو أصل تكوينه ، وله أثره البالغ فى تشكيل شخصيته ، ومن ثم فقد اهتم به ، ورسم له الطريق الصحيح لتحقيقه ، فى اطار كريم ، ومتوازن ، مع الجوانب الأخرى ، كما لم يهمل الاسلام - أيضا - الجانب المشرق فى الانسان ، وهو الجانب الروحى فى تكوينه ، فراعى تطلعاته وآماله ، وتساميه نحو الكمالات ، التى بها يرقى فوق الكائنات . وخاطبه خطابا مباشرا ، تكريما له ، **« يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه »** . **(سورة الانشقاق ، آية ٦) ، « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » (سورة الانفطار ، آية ٦ - ٨)** .

فلم يخاطب الاسلام فى الانسان قوة من قواه ، دون الأخرى ، فيقع فى التناقض مع القوى التى يهملها ، وانما خاطب فى الانسان جميع القوى .

« وهذا الارتباط الذى لاحظه الاسلام ، بين مكونات الطبيعة الانسانية ، يدل على التكامل بينها ، وأنها جميعا كل متكامل ، ووحدة واحدة ، لا فضل فيها لجزء على آخر ، وانما جميعها تعين بعضها البعض ، على أداء وظيفة الانسان فى تعمير الأرض ، وخلافة الله سبحانه وتعالى فيها » . (٢٤ : ١٠) .

وميزة هذا التصور « أنه يلبى الكينونة الانسانية بجملتها ، ويدخل كذلك فى دائرة ادراكها ، والذى لا تدركه منه ، ادراك ماهية وحقيقة ، أو ادراك كيفية وعلية ، لا يتعذر عليها التسليم به فى طمأنينة ، لأنه داخل فى مفهوم منطقها المعقول » . (١٧ : ٤٦) .

وفى النظرة الى أفراد الجنس الانسانى ، يقر الاسلام اختلاف الأمزجة والطبائع ، وتعدد الأنماط والنماذج فى أوضاع الحياة الاجتماعية ، ما دامت تجرى فى اطار ثوابت الدين « **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم** » . (سورة هود ، آيات ١١٨ ، ١١٩) ، وجعل الاسلام معيار التفاضل بين الناس عند الله سبحانه ، هو مقدار ما يبذله الانسان من

جهد لخدمة الانسانية وعمل صالح فى اطار الايمـــان ، وربط العمـــل بالايمان ربطا محكمـــا ، فتحقق ـ فى منظوره ـ التوفيق والتلاؤم بين الفكر والتطبيق ، وبين العلم والعمل ، كافضل ما يكون عليه هذا الأمر ٠

وليس فى الاسلام خطيئة موروثة ، تلحق بالانسان ، وتغل حركته ، وتشغله دائما بالتكفير عن ذنب لم يرتكبه ، بل يقرر الاسلام أن المسئولية فردية ، فلا يسأل الانسان الا عن عمله فقط ، ولا يحاسب الا عن ذنب قد ارتكبه بنفسه « **وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ٠ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسـبيا ٠ من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** » ٠ (ســـورة الاسراء آيات ١٣ ـ ١٥) ٠

وفتح باب التوبة أمام مرتكب المعصية ، رحمة بالجـانب الضعيف فى تكوين الانسان ورفعا للاحســاس الدائم بالذنب ، وتخفيفـــا لآثاره المدمرة فى النفس « **والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** » (سوة آل عمران ، آية ١٣٥) ٠

ومن خصـــائص الاســـلام الكبرى ، أنه يحترم ارادة الانســـان واختياره ، اذا كان مقتنعا بهذا الاختيـــار حتى فيما يختص بمجـــال المعقيدة نفسها ، فتراه يرفض القهر والارهاب ، والاكراه ، لحمل الناس على الايمان برأى ، أو فكر ، أو مبدأ ، أيا كان ، وهو بهذا يدعو الى تأصـــيل قيمة حرية الفكر ، واحترام الرأى المخـــالف مهمـــا كان ٠٠ « **ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » (سورة يونس ، آية ٩٩) ٠

« **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم** » (سورة البقرة ، آية ٢٥٦) ٠

رابعا ـ الاسلام ٠٠٠ والحياة :

لقد نزل القرآن بهذا المنهج الربانى ـ لقيادة الحياة وتوجيهها ـ منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، فى وقت كانت له ســـماته الفكـــرية والثقافية والحضارية ، المتباينة فى كثير من جوانبها وأبعـــادها ، مـــع

سمات العصر الحاضر وخصائصه ، وهنا لابد من سؤال يفرض نفسه ، وتبدو الاجابة عليه منطقية ، بل أكثر من ضرورية : هل يتضمن هذا المنهج الربانى عنصر الصلاحية ، وخاصية القابلية للتطبيق ، فى هذا العصر ، بخصائصه المعرفية ، والتكنولوجية ، والمنهجية ، التى يتسم بها ؟

وبمعنى آخر : هل باستطاعة هذا المنهج الربانى أن يقود الحياة البشرية ، الى ما هو أفضل فى هذا العصر بخصائصه العلمية ، والحضارية ، رغم مرور مئات السنين على نزوله واقراره ؟

والاجابة على هذا السؤال تقتضى التمييز - أولا - بين اصول الدين ، وثوابته من ناحية ، وفروعه ولوا حقه ، من ناحية أخرى .. وبعبارة أخرى : التمييز بين ما اصطلح عليه الفقهاء بالسنة التشريعية ، أى فيما يبلغ عن الله - عز وجل - من ناحية ، وبين السنة غير التشريعية ، أى التى تختص بأمور الدنيا المتغيرة ، فالنوع الأول يحمل طابع الالزام والالتزام ، لأنها مجموعة النصوص والأحاديث التى تختص بالشريعة بمعناها العام ، بينما النوع الثانى ، لا يحمل نفس الطابع الالزامى ، حيث يشمل تلك الأحاديث التى تتعلق بجوانب حياة الرسول ﷺ خاصة ، أو جوانب الحياة العلمية المختلفة ، من طب ، وزراعة ، وصناعة ، وغيرها ...

وفيما يختص بتبيان النوع الأول ، يقول سبحانه وتعالى : « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** » (سورة النساء ، آية ٨٠) .

ويقول « **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » (سورة الحشر ، آية ٥٩) .

ويقول « **وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون** » (سورة النور ، آية ٥٦) .

ويقول أيضا « **وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى** » (سورة النجم ، آيات ٣ ، ٤) .

ويشير الدكتور محمد عبد الله دراز الى هذه القضية الهامة بقوله : « اننا اذا ما نظرنا الى حقيقة الأمر نجد أن جميع الأوامر النبوية ، لا تفرض تكليفا نهائيا ، مهما يكن شأنه شرعيا ، أو دينيا ، الا بقدر وبشرط ان ترتدى الفكرة التى يشتمل عليها صفة الوحى ، صراحة أو ضمنا ، فاذا عدمت هذه الصفة الالهية لم يعد لما قاله (الانسان) سلطانا على أحد » (٢٧ : ٣٨) .

« (فالاسلام الدين) ، واحد وثابت ، فى أصوله ، وأركانه ، فى عقيدته ، وشريعته التى هى النهج الذى ينهجه أهله للتدين به ، والاعتقاد بعقائده ، واحد وثابت كذلك فى الروح التى تمثل مزاجه الحاكم والسارى والعام فيما يتفرع عنه من فكر وتطبيقات ، انه واحد وثابت ، لأنه وضع الهى ، وليس ثمرة للفكر البشرى الخاضع لتطور الاجتماع ، وتبدل الملابسات ، وتغاير الظروف والحضارات » (٢٨ : ٤٢) ، ثم انه قد اكتملت له أصوله وأركانه منذ أن أوحى شارعه الى رسوله عليه الصلاة والسلام ، قوله سبحانه : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (سورة المادة ، آية ٣) .

أما النوع الثانى ، وهو ما نعنيه بالسنة غير التشريعية ، فقد أقرها الرسول ﷺ ، بأحاديث صحيحة ، لا تقبل أى شك ، نذكر بعضها على سبيل التمثيل ، ففى مسألة تأبير النخل - وهى من الأمور الخاصة بالزراعة - نصح الرسول ﷺ - أهل المدينة بترك التأبير أو التلقيح ، عندما مر عليهم ورآهم يفعلون ذلك ، لظن قد ارتآه وعندما اشتكى اليه هؤلاء الناس - عندما حل موسم الحصاد - بأن النخل لم يثمر ، بعد العمل بنصيحته ، قال : « **أنتم أعلم بأمور دنياكم ، فانما أنا بشر ، اذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشىء من رأيى فانما أنا بشر** » . وقال : « **فان كان ينفعكم ذلك (أى تأبير النخل) فليصنعوه ، فانى انما ظننت ظنا ، فلا تؤاخذونى بالظن ، ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به ، فانى لن أكذب على الله** » (٣ : ١١٦) .

ولم يستنكف - صلى الله عليه وسلم - أن ينزل عن رأيه ، عندما يتبين له وجاهة الرأى الآخر ، مهما كان مصدره ، فعندما اقتنع برأى أحد جنوده البسطاء فى غزوة بدر ، غير المكان الذى نزل فيه بالجند ، عندما سأله الجندى : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، امنزلا

أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » . فأشار عليه الجندى بمكان الماء ، فغير الرسول موقعه ، وقال : « لقد أشرت بالرأى » (٤ : ١٥) .

حتى فى مجال القضاء - على أهميته القصوى - أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى ، فقال ، فيما رواه البخارى عن أم سلمة : « انما أنا بشر ، وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون أبلغ بحجته من بعض ، فأحسب أنه صدق ، فأقضى له بذلك فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار » (٢ : ٣٨).

وهكذا تتبين الحكمة والقصدية ، من تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، على جانب البشرية فيه ، فيما يختص بالأمور الدنيوية ، وعوامل نهضتها ورقيها ، ومحصلة هذه القضية أن « الأمور المتغيرة ، غير الثابتة والمتعلقة بالمصالح الدنيوية ، وتنظيم المجتمعات والجماعات والأفراد ، والتى لا تتعلق بعالم الغيب ، الذى اختص الله سبحانه وتعالى به ذاته القدسية ، والتى يمكن للعقل أن يستقل بأدراكها ، وأدراك حكمة تشريعها والتى يطرأ التغير على علتها وحكمتها ، مثل هذه الأمور المرتبطة بالواقع المتغير ، يجوز ، بل يجب معها الاجتهاد » . (٢٨ : ٣١ - ٣٢) .

فاذا كان التطور والتغير من خصائص الحياة - تحقيقا لسنة الله فى الكون - واذا كان لهذا التطور والتغير علومه ونظمه وتطبيقاته ، فانه لا ينبغى أن يقتلع هذا التطور وذاك التغير ، كل شىء فى حياة الأمة ، ومكوناتها الأساسية من الجذور ، فالخلق الجديد لا يكون جديدا ، الا وهو حامل للأصالة التى تضمن له الاستمرارية والتواصل والتميز والنمط الخاص ، خاصة اذا كانت هذه الأصول والجذور تتضمن فى خصائصها ، عناصر التطور ، وأطار التجديد ، فلا تعارض على الاطلاق ، بين التطور الهادف والعقيدة الايمانية ، بل هما على التحقيق متكاملان فميزة العقيدة ، انها تجعل الأمة تنطلق من مركز الدين والايمان ، بحيوية ، واستجابة مرنة ، وعقلية متفتحة ، دون

أن تفقد ذاتها ، أو يخونها وعيها ، فيما تأخذ من غيرها ، وما ترفض، لا تتحرج من نقـــل كل جديد فى العلم ، أو اســـتعارة ما يعوزها من مقومات الحياة المادية ، دون العقيدة ، واللسان ، والقيم ، والمثـــل العلى ، والأخلاق ، وأصل التقاليد ، كل ما هو من عنصر ذاتها الخاصة وشخصيتها المتميزة .

واذا كان الأمر كذلك ، فان جميع القيم المستهدفة ـ المادية منها والمعنوية ـ والتى تقود الحياة وتوجه السلوكيات والمقاصد ، ينبغى أن تتسم بالسمة الأخلاقية ، وكل عمل أو فكر أو نشاط للانســـان المتدين ينبغى أن يكون غرضه أخلاقيا ، فافتقـــاد هـــذا الغرض الأخلاقى فى حياتنا المعاصرة ، يعتبر علة للكثير من الأمراض التى تعانى منهـــا البشـــرية الآن .

ونصل الآن الى وضع تعريف للقيم من هـــذا المنظور ، ومن ثـــم التصنيف المقترح المنبثق من هذا الاطار النظرى .

فالقيم هى « مجموعة المعايير والفضائل التى جاء بها الاسلام ، كمنهج ربانى لتربية الانسان ، وتحقيق سيادته على الأرض ، وقد آمن بها عن اقتناع واختيار ، حتى أصبحت محـــل اعتقـــاد واعتزاز من جانبه ، ومن ثم صارت موجهات لسلوكه ، ومرجعا لأحكامه ، فى كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعـــال .

« وهذا التعريف ، يشـــمل جميع مجـــالات القيم ، وأبعادها المختلفة ، كما يشـــمل الجانبين : الذاتى والموضوعى للقيمة ، فكونهـــا (محل اعتقاد واعتزاز ، وعن اقتناع واختيـــار) يعبر عن الجـــانب الذاتى للقيمة ، وكونهـــا (موجهات للســـلوك ، ومرجـــع للأحكام والأفعـــال) يعبر عن الجانب الموضوعى لها » . (٢٢: ١٦٣) .

أما التصـــنيف المقترح ، والمنبثق من هـــذا الاطـــار النظرى ، والمتسق مع تعريف القيم كما حددته الدراسة فهو كما يلى :

اولا : قيـم المسـتوى الأول :

القيم المحورية أو القيم الأم أو القيم الفوقية :

هى تلك القيم الحـاكمة ، أو الملزمـة ، والتى ترتبط بالعقيـدة والشريعة ارتباطا مباشرا وتستمد قوتها وقدسيتها وأهميتها منهمـا ، ومن ثم فهى المعايير والمحددات الأساسية التى توجه سلوك الانسـان فى المجتمع ، وتقننه حسب الوسع والطاقة ، والقدرة والمساءلة كمـا أنها المرجـع لكل أحكامه .

ثانيـا : قيـم المستوى الثـانى :

قيم العبادة اليومية أو القيم الاصطلاحية :

وهى مجموعة القيم المرتبطة بالأنشطة الاجتماعية والانسـانية والعلمية المباشرة ، والتى تشمل جميع مجالات التفاعل الاجتمـاعى اليومى ، وفى جميع مستويات السلوك المختلفة .

والقيم الأم أو الفوقية تنقسم الى :

(أ) **القيم العقدية** : وهى تلج القيم المرتبطة بالايمـان بالله وملائكته وكتبه ، ورسله والايمان بالغيب ، والايمان بقضاء الله وقدره ، وملائكته خيره وشره ، حلوه ومره .

(ب) **القيم التعبدية :** ويقصد بهـا هنـا ، تلك القيـم التى تحدد الكيفية التى يسلكها المؤمن فى القيام بفرائض الدين المختلفـة ، وتشمل العبادات المختلفة من صلاة وصيام وزكاة وحج ، كما تشـمل جميع ما أمره الله سبحانه وتعالى به ، واجتناب ما نهى الله تعـالى عنـه .

ومصدر هذين القسمين من القيم جميعا ، هو الوحى السماوى، بالكيفية التى رسمها وبالصورة ، التى حددها ، ليس فيها مجـال لأى عالم أو مفكر أو مجتهد ، لأن يزيد عليها ، أو ينقص منهـا .

ومن هنا كانت قيما ملزمة لكل مؤمن بهـا ، حاكمة لجميـع

سلوكه ، وتصرفاته ، بعد أن اعتقدها ، وصدق بها ولا يجوز له - بعد ذلك - الخروج عليها ، أو الاخلال بواجباتها ، بل يدافع عنها ، ويتحمس لنشرها ، واقامتها ويجعلها مرجع أحكامه ، وأطار سلوكه وتصرفاته فى كل ما يربطه بالله ، وبالكون ، وبالحياة .

وتتسم هذه القيم بانها ثابتة ، ومطلقة ، وغير خاضعة للتغيير أو التبديل ... الخ .

أما قيم المستوى الثانى :

وهى قيم العبادة اليومية ، فى جميع مجالات النشاط والعمل ، والعلاقات الاجتماعية المختلفة ، وهى التى تحدد أنماط السلوك المرغوب فيه فى جميع هذه المواقف ، ويسترشد بها الأفراد ، فى جميع مناشطتهم ، وأدوارهم ، ومراكزهم ، وهذه القيم هى التى تحدد شكل الحياة فى مجتمع معين ، أو جماعة معينة ، لأنها تشمل جميع المجالات القيمية المختلفة ، الاقتصادى منها والسياسى والاجتماعى ، والتربوى ، والعلمى .. الى آخر هذه المجالات .

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن قيم هذا المستوى ، ترتبط ارتباطا مباشرا ، وقويا ، بقيم المستوى الأول (الفوقية) ، وتخضع لمعاييرها الاساسية ، ومصدرها الرئيسى .. فالاسلام كما هو معلوم من خصائصه - أو كما ينبغى أن يكون معلوما - نزل على بشر ، بقواعد ومبادىء ، ومعايير ، لينظم من خلالها حياة البشر ، على هذا الكوكب ، وفى هذا العالم ، وليس فى عالم آخر ، ومن هنا كانت الحياة الدنيا هى موضوع الدين ، ومن أراد فصلهما جعل الدين بغير موضوع .

وبهذا المعيار ، تستمد قيم هذا المستوى ، قوتها ، وأهميتها ، فهى سلوك ملتزم وتصرفات مسئولة ، وأقوال محسوبة ، فى اطار من الايمان الصادق ، والعقيدة الصحيحة .

ان مجتمعنا المسلم - شانه شان أى شعب حضارى فى الدنيا - له

مقوماته الحضارية الضاربة فى أعماق التاريخ ، وله أصوله وتقاليده، وله ثقافته وتاريخه ، وقبل هذا وبعده ، له دينه وعقيدته التى يعتز بها ، ويحرص عليها .

وأمتنا الاسلامية الآن - بحكم التصنيف العالمى - أمة نامية ، فرضت عليها الظروف التى مرت بها وعوامل القهر والاستغلال ، أن تتخلف عن ركب الحضارة ، وهى الآن تحاول جهدها أن تلحق بالركب ، وأن تواكب المسيرة ، وأن تعوض ما فاتها ، وأن تحقق مكانها وذاتيتها ، وليس من سبيل الى ذلك أو الى شىء منه ، الا بالتخطيط الواعى المدروس لقائمة مجالات الحياة على أرضها ، السياسى منها والاجتماعى والاقتصادى والعمرانى وهنا تبرز أهمية التربية ودورها القيادى فى التخطيط التربوى وفق أهداف مرسومة وغايات محددة ولن يكتب لأية خطة أدنى نجاح - مهما دقت تفاصيلها - اذا هى تجاهلت ماضى الأمة الذى لا يمكن تجاهل تأثيره فى حاضرها ، أو اذا أغفلت حاضر الأمة الذى هو - بالطبع - انطلاقة الى مستقبلها ... وانطلاقا من هذا ... فلابد من الأخذ بعين الاعتبار ، تاريخ الأمة وحضارتها ، وتجربتها وثقافتها ، ومن ثم عقيدتها وايمانها .

والقيم التى يجب أن يؤمن بها الشعب ، والتى يتخذها معيارا ومقياسا لكل أفعاله وتوجيه سلوكه ، يجب أن تختلف باختلاف المجتمع الخاص الذى نحن بصدده وفق الكل الثقافى الخاص بهذا المجتمع ، حيث ان لكل مجتمع « كل ثقافى خاص به وفريد فى نوعه ، كما أن كل ثقافة تمتاز بالتفرد فى أنماطها وأشكال سلوكها الخاصة بها » . (٢٥ : ٢٦) .

ولا يستطيع باحث أن ينكر أهمية القيم الاقتصادية وضرورتها فى بناء مجتمعنا وتنميته . كما أننا فى حاجة أيضا الى القيم الصحية ، والعلمية ، والسياسية ، وغيرها .

ونحن اذ نعترف بحاجتنا الى هذه القيم - التى اقتصرت عليها

المدارس الفلسفية الا اننا نؤكد - وبصـــورة أشـد - مدى افتقارنا الى القيم الأخلاقية التى أضحت هدفا ومصيرا ليس بالنســبة لنــا فقط ، بــل للعــالم أجمــع ٠

ولعل الجميع يشاركون الباحث بأن سبب المصائب التى يعـــانى منها العالم الآن هى فى جوهرها أزمة أخلاق ٠ فالعالم فى حاجة الى قيم أخلاقية توجه العلم وتقود مسيرته ٠

ان جميع القيم المادية - ان صح هــذا التعبير - فى حقيقتهـــا أسلوب حياة ، وطريقة للتفكير ، ولكنها جميعا فى حاجة الى معيـــار أو مقياس يدير هــذا الأسلوب ، ويوجه تلك الطريقة الى ما ينبغى أن يكون ، فالقيم الأخلاقية هى هــذا المعيـــار وذلك المقيـــاس ، وهى بالنسبة للسلم القيمى قمته كما أنها روحه الذى يحــركه ٠

ولكى تؤدى هــذه القيم الأخلاقية وظيفتها ، وتحققق غايتها ، لابد لها أن تكون نابعة من مصدر أصيل يكسبها الاحترام الواجب ويمدها بالقوة ، كما يضمن لها الرضا والقبول من غالبية افراد المجتمع ٠

ان قضية القضايا التى لا تزال تلح فى الوجدان المسلم ، تكمن فى ناحية ٠ وبين صور الحياة المعاصرة التى وفــد - ولا يــزال يفــد - فى التساؤل عن كيفية التوفيق بين قيم الدين ومبادئه وشرائعه وشعائره من الكثير منها من حضارات وفلسفات أخــرى ٠

ولا شك ان عملية استهداف هــذه القيم ، والقصدية نحو تحقيقها ، وكيفية التوفيق بينها ، هى وظيفة التربية بالدرجة الأولى ٠

أهـــم المراجـــــع

(أ) مراجـع عامـة

١ ـ القـرآن الكريـــم ٠
٢ ـ صحيح البخـارى ٠
٣ ـ صـــحيح مســـلم ٠
٤ ـ سـيرة ابن هاشـم ٠

(ب) كتب ودراسات عربية

٥ ـ ألكسيس كاريل : **تأملات فى سلوك الانسان ـ الحضارة الحديثة فى الميزان** ـ ترجمة : محمد محمد القصـــاص ، مراجعـة : محمود قاسم ، مكتبة صر (د٠ ت) ٠

٦ ـ توفيق الطويل : **الفلسفة الخلقية** ٠ الاسكندرية ، منشأة المعارف، ١٩٦٠ ٠

٧ ـ توفيق الطويل : **فلسفة الأخلاق ـ نشأتها وتطورها** ٠ الطبعـــة الرابعة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٩م ٠

٨ ـ جـــون ديـــوى : **البحث عن اليقين** ٠ ترجمة : أحمد فـؤاد الأهوانى ، القاهرة ، عيسى البابى الحلبى ، ١٩٧٠م ٠

٩ ـ جـــون ديـــوى : **الطبيعـة البشرية والســـلوك الانســـانى** ٠ ترجمة : محمد لبيب النجيح ى، القاهرة ، مؤسسة الخانجى بالاشتراك مـــع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ـ نيويورك ، ١٩٦٣م ٠

١٠ ـ جون كلوفر مونسيما : **اللـه يتجلى فى عصر العـلم** ٠ تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ٠ أشرف على تحريره : جـــون كلوفر مونسيما ، ترجمة : الدمرداش سرحان ، مراجعـــة : محمد جمال الدين الفندى ، دار القلم ، بيروت ، د٠ت) ٠

١١ ـ زكريا ابراهيـم : **الأخـــلاق والمجتمـع** ٠ القـــاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م ٠

١٢ - زكريا ابراهيم : **مشكلة الانسان** . القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٥٩م .

١٣ - سعيد اسماعيل على : ليست تلفيقية ولا توفيقية وانما انتقائية تكاملية - **دراسات تربوية** . كتاب غير دورى ، الجزء الثانى ، مارس ١٩٨٦م .

١٤ - سعيد اسماعيل على : أسلمةالتربية فريضة ، دينية وحاجة اجتماعية وضرورة تربوية ، **جريدة الأهرام** ، القاهرية ، العدد ٣٦٥٩٨ بتاريخ ٢٠ / ٢ / ١٩٨٧م .

١٥ - سعيد اسماعيل على : الثوابت والمتغيرات فى التربية الاسلامية **جريدة الأهرام** القاهرية ، بتاريخ ٣١ / ١٠ / ١٩٨٦م .

١٦ - سيد قطب : **العدالة الاجتماعية فى الاسلام** . الطبعة الشرعية الثانية ، دار الشروق (بيروت - القاهرة) ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

١٧ - سيد قطب : **خصائص التطور الاسلامى ومقوماته** . دار الشروق ، الطبعة الشرعية الثانية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

١٨ - سيد قطب : **مقومات التصور الاسلامى** . دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

١٩ - صلاح قنصوة : **نظرية القيمة فى الفكر المعاصر** . القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨١م .

٢٠ - عبد الرحمن بدوى : **هل يمكن قيام أخلاق وجودية** . القاهرة ، دار النهضة المصرية ، ١٩٥٣م .

٢١ - عبد الرحمن بدوى : **نيتشة** . القاهرة ، دار النهضة المصرية ، ١٩٥٦م .

٢٢ - عبد الرحيم الرفاعى : القيم الأخلاقية لدى طلاب جامعة طبطا - دراسة ميدانية . **رسالة دكتوراه غير منشورة** ، كلية التربية - جامعة طنطا ، ١٩٨٥م .

٢٣ - عبد السميع سيد أحمد : فى مصر ، أزمة الهوية فى الفكر التربوى - **دراسات تربوية** كتاب غير دورى للدراسات والأبحاث التربوية والنفسية ، الجزء الأول ، نوفمبر ١٩٨٥م.

٢٤ - عبد الفتاح جلال : الطبيعة الانسانية فى القرآن والسنة -

أحد بحوث المؤتمر العالمى الخامس للتربية الاسلامية ٠ القاهرة (رجب ١٤٠٧هـ / مارس ١٩٨٧م) ٠

٢٥ - فوزية دياب : **القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية** ٠ الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م ٠

٢٦ - محمد ابراهيم كاظم : نحو تربية اسلامية معاصرة ٠ بحث منشور فى : **دراسات فى التربية الاسلامية وأصولها النظرية والفلسفية** ٠ يصدرها مركز البحوث التربوية بجامعة قطر ، المجلد التاسع ، ١٩٨٥م ٠

٢٧ - محمد عبد الله دراز : **دستورر الأخلاق فى القرآن** ٠ تعريب وتعليق وتحقيق : عبد الصبور شاهين ، مراجعة : السيد محمد بدوى ، مؤسسة الرسالة (بيروت - دار البحوث العلمية بالكويت) الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م ٠

٢٩ - محمد عمارة : **الاسلام والمستقبل** ٠ دار الشروق ، (القاهرة - بيروت) ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م٠

٢٩ - محمود شلتوت : **الاسلام عقيدة وشريعة** ٠ ط ١٣ ، دار الشروق (القاهرة - بيروت) ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ٠

(ج) المراجع الأجنبية

30 — Allanc. Ornstein & Daniel, U, Levine., **Foundations of Education, 2nd** Ed., (130 Ston, Houghton Mifflin Co., 1981).

31 — Asch, S. : **Social Psychology.** N. Y., Prentice - Hall, 1952, Chapter, 12.

32 — Davidson, R. (editor) : **The Search for Meaning in Life,** N. Y. Rinehart, 1962.

33 — Durkheim, E. : **Sociology and -Philosophy,** Eng. Translation, by Book, Tllinois the Free Press, 1953.

43 — Fay, N. : **Social Theory and Political Practice,** N. Y., Holmes and Mier Publisher, 1975.

35 — Jood, G. : **Philosophy** , London, Hoddr and Stoughton, 1944.

36 — Leontive, I., : **Fundamental Sof Marxist** Political Economy, Moscow, Novostipress, 1965.

37 — Linin, : **Selected,** Works, Moscow, 1947, Vol. II.

38 — Marx and Engles : **Selected wvolumes, Moscow, Foreign** Languges Publishing House, 1962.

39 — Schiller, **In Encyclopidia of Religion and Ethics,** Artvalue.

ACCORDING TO AN ISLAMIC CLASSIFICATION OF VALUES

Dr. A.E. Bakerh

This study aims at reaching a classification of values that twins with the gifts of modern life; at the same time, it does not neglect the cultural civilized and thoughtful life of the Islamic nation, it achieves human self and does not contract with any aspect of his existence. Hence, it ensures the power and elegance of the sociely.

In order to achieve this aim, the study briefly contains the most important attitudes and the modern philosophical schools expressed in the natural tendency and the ideal one. It tries to conclude a scale of values that goes on accordance with the previous criteria, but in vain. Each school said that the behavior of man is a result of necessity either it is natural or social or historical. This means that man's power is useless and so is his ability, it also ends his positive powers.

In the second chapter, the researcher tries to conclude the Islamic curricula of education while showing the general view of Islam and his point of view of existence, life, man and society briefly because no researcher in education, economic or policy could understand them without paying attention to this total frame.

Throught this treatise, the study could put an Islamic definition of values and hence it could reach a classification to it that goes on accordance with this total view and this comprehensive curricula.

The researcher pays attention to the danger that some may cause when they held a comparison or semi.

Comparison between these curriculum and God curricula.

The fact we like to assure is that there is no comparison between these human conception whatever stable it is and God one which is comprehensive, integrated and balanced.